قصة قصيرة

ليلى وغدرُ الحُبّ

ن. مداني

دار البسمة للنشر والتوزيع

ليلى وغدر احبب

اسم الكتاب: ليلى وغدرُ احبّ

اسم الكاتبة: ن.مداني

نوع العمل: قصة قصيرة

الرقم الدولي EBIN: 16-1-285-231129

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2023م / 1445هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

داربسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Darbassma1@gmail.com

المملكة المغربية

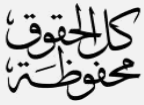

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

ليلى وغدر الحب

قصة قصيرة

ن. مداني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من يعانون في صمت ويمسحون دموعهم في الخفاء....

كل تشابه مع الواقع فهو محض الصدفة..

لطالما أزعجني تفاني ليلى اللامحدود لأسرتها إلى حد التضحية بنفسها في كل شيء، حتى أصبح وجودها شفافًا، لا تكاد ترى في البيت.

فهل قصرت مع رفيق دربها في شيء حتى يفاجئها برغبته في الزواج من ثانية؟

هل أخطأت عندما غادرت الجامعة لتتفرغ بالكامل لأسرتها وألغت شخصيتها وأوقفت مشاريعها؟

أظنه لا هذا ولا ذاك، وليس لها ذنب في الموضوع، ولم تقصر في شيء ولم تكن مخطئة، كل ما في الأمر أنه لم يكن في مستوى حبها وإخلاصها بما فيه الكفاية!

لقد كانت منذ مدة على علم بنزواته ومغامراته لكنها لم تفعل شيئًا، وظلت محبة وهادئة وتيقن هو من أن كل شيء مباح، ربما لو أذاقته بعض الفراق وبعض البعد لكان رادعًا له وعاد إلى الصواب، فالزواج استثمار عاطفي ومادي وعائلي واجتماعي مع شريك واحد، والإفلاس فيه إخفاق كبير للاثنين يحتاج إلى إعادة النظر في كل شيء.

تحضرني الآن صور كثيرين ممن عانوا آلام نفسية شديدة بعد الطلاق، وذكرى امرأتين أصابهما السرطان بعد زواج الشريك من امرأة أخرى، فماتت إحداهما بعد سنة واحدة من ذلك، وكنت أول مرة أسمع فيها عن سرطان الطحال وأنه يعني "لا أريد أن أعيش".

كثيرون أيضًا يتعافون بعد الفراق ويبنون حياة جديدة قد تكون أكثر سعادة، لكن العبور من التجربة يكون في الغالب محنة تقتضي المساعدة حين يتعلق الأمر بالزيجات التي دامت لعقود أو سنوات، وكان هناك أطفال وذكريات ومشاعر وألفة، لذلك من الأفضل في هاته الحالات أن لا نكون أول من يرحل ونترك الطرف الأضعف هو من يقرر الذهاب، حين نكون قد ساعدناه على العيش بدوننا، فحتى الطيور لا تغادر أعشاشها قبل أن تكبر صغارها، و لا تترك أليفها حتى تموت!

أما التعدد فلا يعني أنك زوج لاثنتين وإنما يعني بأنك نصف زوج لواحدة ونصف لأخرى.

قالت ليلى على الموبايل: لا تجزعي كثيرًا، ستفهمين لماذا قبلت بالوضع يومًا، والأمر ليس بكل هذا السوء غدًا يوم آخر!

يا إلهي، اتصلت بها لأواسيها فصارت هي من تواسيني!

يا إلهي كم يصيبني الإحباط من هذا العالم البائس!

***

لو علمت غريمتها مدى الجرم الذي ارتكبته في حقها لحزمت حقائبها وولت هاربة، اقتحمت عليها حياتها الهادئة المستقرة وكدرت صفوها وسببت لها حزنًا لا يعلمه إلا الله، لم تبك وبكى أصدقاؤها، ولم تشتك واشتكى أحباؤها ولم تتذمر ولم تسخط ولم تعاتب.

قلت لها: لم أكن أعلم قبل اليوم أن ما يضرك يضرني في صميم أعماقي يا صديقتي، كنت دائمًا باهتة الحضور واليوم صار وجودك كالشمس الساطعة بفضل علو الأخلاق التي أفصحت عنها.

لم تسقط دمعة واحدة من عينيك رغم الألم الذي يعتصرك وأنت ترين توأم روحك يحمل باقة ورود ليخطب ودها، بل أكثر من ذلك، رافقته في رحلته وأنت تعلمين ما يذهب إليه.

يا عزيزتي لو علمت تلك المرأة كيف أحببت ذلك الرجل وكيف كنت روحه التي يعيش بها، ونفسه التي تتردد بين جوانحه، وقلبه الذي يخفق بعشقها، لخجلت إلى حد الفناء مما فعلت بك.

لو علمت أن قصتكما بدأت من أيام الدراسة الأولى، منذ الثانوية العامة حينما كنت تلبسين الوزرة البيضاء وتلقين بضفيرة طويلة سوداء على ظهرك لعرفت أنها تطفلت وجارت عليك.

أبدًا لم أسمعكِ يومًا تصرخين في بيتك، ولم أر فيك عيبًا سوى طاعة عمياء لزوجك، فكيف لا يكون ظلمًا أن تأخذ مكانك؟

كنت أنتظرك يومًا في الصالون وأنت تستعدين لكي نخرج، وحملت كتابًا كان فوق الطاولة بغير سوء نية للقراءة ففتحته على ورقة كنت تركتها لابنتك وقد كتبت عليها: "اهتمي ببابا جيدًا فأنا خارجة، أحبكم من كل ذرة في كياني!"

يا صديقتي الغالية، يحزنني اليوم أن تشوبك شائبة، وقد كنت من أطيب النساء اللواتي عرفتهن في حياتي.

لم تتفوهي بكلمة سوء واحدة في حقها ذلك اليوم ولا في حق زوجك وأنا أسألك عما حصل، لكنك قلت في الأخير كلمة لا أنساها ما حييت، قلت لي: "أي عثرة تتعثرها تلك المرأة في حياتها منذ اليوم سيكون سببها انتقام الإله لي".

وأضفت: "ترقبي وسوف ترين سوء عاقبتها، حية كنت أم ميتة! أما زوجي فقد أخذته مني جسدًا بلا روح لأنني هو وهو أنا!"

لم أكن لأعارضك في تبرئة زوجك وأنا أعلم أنك مازلت في حالة الإنكار، فخذي

الأمر كما شئت حتى يتبين لك.

أسفي عليك يا من يخجل الورد من رقتها، يا عنوان العفة والصلاح، ماذا عساي أفعل من أجلك سوى الدعاء لك، بوركت وبوركت الأرض التي تمشين عليها!

***

سألتني ليلى: لماذا لم تريْ ما حصل معي قبل أن يحصل وأنت التي تلاحظين التفاصيل الدقيقة في كل شيء؟ لماذا لم تستشعري الأمر من قبل وأنت التي تدرسين الفلسفة وعلم النفس وتقرئين بلزاك ونجيب محفوظ وبدر شاكر السياب والعقاد وكل كتابك الموجودين على الرفوف؟

ما نفع هؤلاء اليوم إن كنت عاجزة أمام مصابي؟

لا تحدثيني عن قراءاتك منذ الآن، فهي لا تفيد في شيء، حدثيني عن أشياء أخرى إن استطعت، عن حيل النساء وألاعيبهن وعن الشيخ الفلاني والعلاني، وعن وعن... فأنا أتألم وأنت هنا تحترمين ألمي!... ثم بكت.

بماذا أجيب؟؟

هل أخبرها بأنني رأيت ما يحصل معها منذ سنوات؟

هل أخبرها أنني كنت أنزعج وأنا أرى زوجها يتابع باهتمام بالغ مسلسل الحاج متولي الذي مثل فيه نور الشريف دور الزوج ذي الأربع نساء؟

هل أخبرها بأنه قال مرة وهو يتحدث عن الإسلام بأن عبقرية هذا الدين تكمن في إباحته التعدد في الزواج؟

هل أخبرها بأنني سمعته يومًا يتحدث عن أولئك الضرائر في بلداتنا وقرانا

البسيطة اللواتي يعشن تحت سقف واحد كالأخوات؟ وأن ألمهن يزول بمرور عام أو عامين؟ وكل ذلك أفضل من أن يظل رجل معذبًا طوال حياته بين حب امرأتين؟

هل أخبرها عن غياباته المستمرة التي كانت تعاني منها ولا تقول شيئًا؟

هل أقول لها أنني كنت أخاف عليها من أن تنزعج أو تحزن؟

لا، لم تكن قراءاتي دون جدوى ولا كتابي حمقى، فقد استشعرت الأمر كله ولم أتحدث، لأنها ما كانت لتسمعني أصلًا!

لكن ربما كان خيرًا لي أن أزعجها حتى القطيعة بالأمس، على أن أقف أمامها كالمتهمة اليوم.

ربما كان خيرًا لي أن أختار إيلامها من قبل، على أن أرى عذاباتها الآن.

تقول ليلى بأنها اختارت أن تبقى واختارت أن تساند زوجها.

لكن السؤال المطروح: هل حقًّا يختار من ليس لديه اختيار؟

هل يختار من لديه طريق واحد؟

هل يختار من لا يملك القرار؟

هل هناك اختيار بين الجمر والنار؟

بئس الاختيار!

***

اتصلت بي ليلى على الهاتف عدة مرات، وفي كل مرة كانت تحاول إقناعي بما جرى، لكنها في الحقيقة كانت تنتظر مني إقناعها.

ربما كانت تنتظر مني أن أكذب عليها وأقول لها بأن الأمر برمته سحابة صيف عابرة، وأن كل ما حصل مجرد عبث سوف ينتهي، أو أدعوها للذهاب بعيدًا وترك ذلك الرجل الذي أهانها بعدما جاوزت الخمسين من عمرها ليستبدل بها امرأة أصغر منها.

لم أقل هذا ولا ذاك، كل ما فعلته هو أنني جعلتها تفكر في الأمر من زاوية أخرى، فبدل الإيمان بالحب الأعمى المثالي الأبدي الذي لا ينتهي، كان عليها أن تعترف بواقعية الأشياء وطبيعة الإنسان وعدم استقراره.

وحده الحب الذي يحترم الآخر كشخص مستقل هو من يستطيع أن يدوم، أما أن تذوب فيه ويذوب فيك فالأرجح أن يزول لأن في هاته الحالة صار الاثنان واحدًا، بينما تبحث النفس دائمًا عن شريك!

ما زاد يقيني بهذه الخلاصة هو موقف الأصدقاء الآخرين الذين تلقوا الخبر كما لو كان حتميًّا، فالكل يعرف كم أنكرت صديقتي نفسها حد الذوبان ليلمع هو، وكيف كانت تلهج باسمه ولا ترى في الحياة أعظم منه.

كان من الطبيعي إذن أن يتيقن من تفوقه الباهر ويحتاج إلى أكثر من زوجة واحدة، فالعظماء مثله يحتاجون إلى زوجات!

***

كانت تتحسر على الساعات والدقائق التي تقضيها بعيدًا عنه، وعندما كانت أسماء تدعونا إلى فيلاتها الأنيقة بين الحين والآخر، كانت هي آخر من تحضر وأول من تذهب حتى لا تتأخر عليه.

زرتها في أحد الأيام لأبارك لها مولودها الجديد، فوضعت لي شريط فيديو وقالت لي: "شاهدي الفيلم وانتظريني، فزوجي بالبيت وعلى البقاء بجانبه حتى يخرج".

قلت لها: "لا عليك، خذي وقتك تمامًا، أنا هنا حتى يخرج السي السيّد لأراك وأتحدث إليك".

ضحكت وقالت: "اعذريني يا صديقتي فأنت تعلمين (البئر وغطاه)".

أجبتها: "لقد جئت لأرى الصبي فقط، أما أنت فسأراك عندما يذهب السي السيد في أسفاره الطويلة وتبقين وحدك! هيا أسرعي لالتقاط بعض الوقت معه قبل أن يغيب مرة أخرى، لا تضيعي الوقت".

رمت إليّ بالصبي والرضاعة، وكان وديعًا وجميلًا جدًّا إلى درجة أنني لم أحس بالساعات وهي تمر...

قال لها يومًا وهو يتحدث عن أمها، المرأة الصالحة الطيبة: "أكثر ما أخشاه هو أن نفتقدها يومًا في حياتنا".

وكان الأجدر به أن يسعد ابنتها لو كان يعزها حقًّا.

قال لها أيضًا: "لا تهمني المظاهر ولا الماديات، كل ما أريده هو راحة البال والحياة العائلية الحميمة البسيطة".

لكنه كان كاذبًا، فبمجرد ما حصل على منصب مرموق، هرع إلى عشيقته يبشرها بالفتح الجديد والراتب الخيالي الذي لم يكن يحلم به يومًا!

وقال لها: "الآن نستطيع أن نخرج إلى النور نعلن حبنا للجميع، أليس من حقي الزواج ثانية؟"

فسألته هاته الأخيرة: "وماذا سيكون رد فعل الأخرى؟"

أجابها: "ألا يكفي أنها تحصل على كل ما تريد؟ أليس من حقي أيضًا الاستمتاع بحياتي كما أشاء؟"

وكأنه اشترى راحة ضميره بالمال الذي يدفعه لها! لا يهمه أنها داست على طموحاتها وكل أحلامها من أجله، بعدما آمنت أن مصيرهما لا يتجزأ وأنه رفيق الدرب الذي لا يخون...

***

سألتها باستياء بالغ: "كيف استطعت الذهاب معه لخطبتها؟ وهل حملت باقة الورد وعلبة الشكولاتة؟ لعلك أيضًا تجملت وذهبت في كامل أناقتك وكأنك أخته أو قريبته أو ما شابه!"

قالت: "نعم، فعلت كل ذلك".

قلت: "كيف؟ كيف قبلت الإذلال والانصياع بهذا الشكل؟ أنا حقًّا لا أفهمك يا صديقتي؟"

قالت: "وضعت نصب عيناي أشياء كثيرة، وكان أهونها أن أسايره حتى لا أفقده بالكامل، المهم أن يبقى معي، حتى وإن لم يكن بالكامل، على الأقل جزء منه".

انتابني شعور بالحزن وأحسست بأنني قسوت عليها بعض الشيء فاستدركت قائلة: "لا عليك، فلست الأولى ولن تكوني الأخيرة التي ترضى بوضع كهذا ولن ينقص من قيمتك شيئًا، فكل ما تفعلينه في نهاية المطاف هو من أجل الحفاظ على أسرتك، أنت امرأة كاملة وقوية وتعرفين هدفك جيدًّا وحدود

قدراتك وإلى أي مدى تستطيعين التحمل، أحيانًا يكون أقصى ما نتمناه هو ألا نضيع".

قالت: "هل تعلمين شيئًا؟"

قلت: "ماذا؟"

قالت: عندما كنا ذاهبين لخطبتها وكنت بجانبه في السيارة، أحسست وكأن المسافة شاسعة بيننا، وكأن كل تلك السنوات التي قضيناها معًا كانت حلمًا، وأن هناك حاجزًا من الصمت يفصلنا، وددت في تلك اللحظة لو أجرؤ على أن ألمسه فلم أستطع، كنت متأكدة بأن جدار الثلج سيزول بمجرد أن ألمسه، فلم أستطع، تخيلي أن هناك أشياء تخرج عن إرادتنا! أشياء فوق ذواتنا كالسلطة العليا!

ثم صمتت للحظة واستطردت بنبرة حزينة: "أحسست أيضًا بأنه جزء مني، وأنه ابني وزوجي وصديقي وكل شيء في حياتي...".

قلت لها وقد فاض بي الكيل من عذابها: "كفى أرجوك، لم أعد أتحمل مثل هذا الهراء! أنت زوجته ولست أمه! كان عليك

أن تشديه من ذراعه بقوة وتصرخي في وجهه وتكسري الأطباق فوق رأسه، وتجعليه يشعر بغيرتك عليه، ثم تصالحيه بعد ذلك وتعتذري إليه!"

قالت: "صحيح؟"

قلت: "نعم"

قالت: "وماذا لو مت؟ ألن يعذبه ضميره؟ هل يستطيع بعد ذلك أن يهنأ بالعيش معها؟"

أجبتها: "وما جدوى ذلك إن لم تكوني هنا؟ فيم سينفعك ندمه أم لا؟"

قالت: "يهمني أن أنكد عليها عيشها ولو ميتة!"

قلت: "عجبًا! ولم لا تنكدي عليها عيشها منذ الآن بدل التفكير في العدم من أجل ذلك؟"

قالت: "إنه العجز يا أختاه، يجعلنا في أسوأ حال حتى يبدو الموت وكأنه حليف لنا..."

ثم استطردت تقول: "هل تتذكرين يا صديقتي عندما أردت يومًا أن تطلعيني عن بعض مشاكلك التي كانت تؤرقك، ولم

أترك لك فرصة الحديث عنها لأنني كنت على يقين بأن النساء جميعا حمقاوات وأن عليهن الصبر والطاعة والاستسلام، وأن وحده الرجل قادر على أن يدير الحياة ويفكر بشكل منطقي وعلى المرأة أن تتبعه في كل شيء؟"

أجبتها: "أذكر ذلك".

قالت: "ها أنا اليوم أشك في كل قناعاتي، وأعتقد أنه لا عزاء للسيدات".

الكتب الصادرة للكاتبة **نادية مداني** عن دار بسمة للنشر الالكتروني

اضغط على الكتاب من أجل تحميله

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هـذا العمـل الإبـداعي برعايـة داربسـمة للنشـر الإلكترونـي بشـــراكة مـــع جـــروب ملتقـــى الأقـــلام المُبدعـــة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيســـبوك، اضـــغط علـــى الأيقونـــة.

ليلى وعدرُ الحُبّ

قالت: "هل تتذكرين يا صديقتي عندما أردت يومًا أن تطلعيني عن بعض مشاكلك التي كانت تؤرقك، ولم أترك لك فرصة الحديث عنها لأنني كنت على يقين بأن النساء جميعا حمقاوات وأن عليهن الصبر والطاعة والاستسلام، وأن وحده الرجل قادر على أن يدير الحياة ويفكر بشكل منطقي وعلى المرأة أن تتبعه في كل شيء؟"
أجبتها: "أذكر ذلك".
قالت: "ها أنا اليوم أشك في كل قناعاتي، وأعتقد أنه لا عزاء للسيدات".

ن. مداني